View metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
brought to you by CORE
provided by Rumah Jurnal IAIN Metro (Institut Agama Islam Negeri)

مناهج الدراسة اللغوية في التراث العربي

بقلم: والفجر

Abstract

The human has a strong will to know things around him, particularly the language that distinguishes him from other creatures. So he always sees the language in many kinds of theories and methods of language studies. There are many kinds of methods can be used in the field of modern language studies, such as descriptive method, historical method, comparative method, prescriptive method, and contrastive method. Each of these methods of language studies has limitations, weaknesses, and advantages.So, for the researchers to choose a method or to combine some methods which fit with their research in the field of modern language studies.

Keywords: descriptive method, comparative method, contrastive method

أ- مقدمة

إن اللغة كائن حي وهي تتطور من عصر إلي عصور وفي مكان من الأمكنة في هذا العالم حيث اجتمع الناس فيه أو اتصلوا به بينهم. ومن الواقع نجد صور اللغة ورموزها متنوعة شتى بخصائصها التي تفترق بغيرها . وهي تنمو وتتطور و تنتشر لدى أمم العالم حتى يستوعب بعض شعب اللغات الأجنبية الكثيرة ومن بعضهم قد يتكلم بالعربية والإنجليزية والإندونيسية والأوردية واللاتينية التي لها أم ومصدر أول عنها.

ومظاهر العولمة تكون دافعة إلى نمو اللغة وانتشارها لدى أي أمة العالم. وبها تكون الدنيا صغيرة وكأنها قرية ضيقة لا تبعد المسافة ولا يتسع عرضها حتى يستطيع سكانها الاتصال بينهم متى شاء وأين

استقر بالوسائل الإعلامية أوالتسهيلات الموجودة كالإذاعة والشبكة الدولية والهاتف وغيرها حيث تتبدّل وتختلط لغاتهم مع غيرهم حتى تمتزج لغاتهم ولهجاتهم وساد بعضها على بعض ويتفوّق وصار موحّدا.

وبناء على هذه الحقائق الواقعة في هذا العالم وكذلك أحداث امتزاج اللغة وثقافتها مع تقدم العلوم وخاصة العلوم اللغوية يجتذب كثير من اللغويين من أنحاء العالم أن يلاحظ ويدرس اللغة بأنواع المناهج لمعرفة حقيقة اللغة السائرة لديهم. وقد عرف أنّ البحث اللغوي قديم سابق في التراث العربي وهو يبدأ مع قيام الحركة العلمية في القرن الثاني الهجري وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي من علماء اللغة الذي يؤلف مقدمة "كتاب العين".[1] هو يريد أن يؤلّف معجما يضمّ كلّ الألفاظ العربية في عصره. ولا شكّ أنّ دور خليل لكبير في مجال الدرس اللغوي العربي القديم. ويأتي بعده سيبويه وبذل جهوده في دراسة بنية الكلمة العربية وفي تحليل الجملة العربية حتى اشتهر بنحوه. وقد عمل مثلهما العلماء اللغويون في دراسة اللغة العربية في أي موضع ومجال وبمنهج ما حتى عصرنا اليوم .

وقد عرّف بعض اللغويين في دراسة اللغة العربية مختلف المناهج التي استخدمها بعضهم في دراستهم اللغوية وهي: المنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج التقابلي والمنهج المعياري والمنهج التوليدي التحويلي والمنهج التركيبي. ونعرف أن

1 محمود فهمي حجازي، *البحث اللغوي*، (القاهرة.دار غريب.د ت)، ص. 10

لكل منهج من تلك المناهج خصائص و أسسا خاصة في بنائها و إجرائها، وسنبحثها في هذه المقالة المتواضعة.

ب- مفهوم المنهج

المنهج لغة من لفظ نهج ينهج نهجا ومنهجا أي معناه الطريق الواضح.[2] وذكر في هانزفير معناها procedure / method .[3] واعتمادا على هذا المعنى، إذا أضيف هذا اللفظ إلى الدارسة اللغوية مثلا، فمعنى المنهج هو الطريق أو الأسلوب المستخدم في الدارسة اللغوية.

وعند عبد العزيز (2006) أنّ المنهج هو الطريقة أو مجموعة الإجراءات التي تتخذ للوصول إلى شيئ محدّد أو الطريق الواضح أو الخطة المرسومة،[4] ونحو ذلك منهج الدراسة ومنهج التعليم وغيرهما. وهو الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال.

والمنهج اصطلاحا هو :

- بوجه عام وسيلة محدّدة توصّل إلى غاية معينة
- المنهج العلمي خطة منظّمة لعدّة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف الحقيقة أو البرهنة عليها.
- ويعني المنهج ((Method هو طريقة الفحص أو البحث عن المعرفة

ونتأكّد أن معنى المنهج اصطلاحا هو الأصول التي تتبع لدراسة أي جهاز من الأجهزة اللغوية.[5] ودلالة المنهج تتمثّل كما يلي :

---

2 لويس معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، ط.33، (بيروت،دار المشرق ،1992)، ص. 841

3 ج ميلتون كوان، معجم *اللغة العربية المعاصرة* ،ط.3 (بيروت،مكتبة لبنان ، 1974)،ص. 1002

4 محمد عبد العزيز عبد الدايم، *النظرية اللغوية في التراث العربي*، (القاهرة، دار السلام، 2006) ص. 20

5 نفس المرجع، ص.21

1) إجراء أو عملية لإحراز موضوع
2) إجراء منظّم أو فنية أو حالة يطبقه نظام أو فنّ خاصّ أو يناسبها
3) خطّة تتبع في تقديم مادة للتعليم

وقال كوهين M.R.Cohen ، نقلا عن عبد العزيز (2006)، إنّ المنهج هو أي إجراء يطبق نظاما عقليا ما أو نموذجا تنظيميا على موضوعات متنوعة. ومن التعريفات الأخرى المنهج هو: (1) طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم، (2) الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة، (3) البرنامج الذي يحدّد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة أو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم النظرية.[6]

ويرى اللغويون أنّ المناهج المستخدمة في العلوم يجب أن تقوّم من خلال ما إذا كانت تؤدي إلى نتائج تتوافق مع اختبار مدى شرح النظرية التي تستخدم هذه المناهج للحقائق التي تدرسها واختبار مدى مناسبة هذه النظرية للنظريات التي تتعامل مع الحقائق الأخرى المتصلة بالحقائق المدروسة.

لقد أنجز علم اللغة تقنين مجموعة من المناهج لدراسة اللغة وكلّ منهج من هذه المناهج يسدّ حاجة يتطلّبها الواقع اللغوي، فبعضها يكشف عن أسرار النظام اللغوي للغة موضوع الدرس، وبعضها يرصد حركة التغّر اللغوي عبر العصور، والبعض الآخر ينهض بهدف التأصيل

6 محمود سليمان ياقوت، *منهج البحث اللغوي*، (الكويت،دار المعرفة الجامعية، 2000) ص.82

اللغوي وتصنيف اللغات إلى أسر لغوية وبعضها يأتي لتحقيق غايات تربوية في مجال تعلّم اللغات وتعليمها.

ج- المنهج الوصفي(Descriptive method)

يقوم هذا المنهج على وصف لغة محدّدة في زمن محدّد ومكان محدّد ودون اعتبار للخطأ والصواب فيها، فالمنهج الوصفي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة أو محاكمة لها أو الفهم المنطقي في تفسير وتأويل الظواهر اللغوية وتأويلها.[7] وبهذا المنهج فعلى الباحث أن يحدّد المستوى اللغوي المقصود بالدراسة لظاهرة لغوية محدّدة صوتيا أو صرفيا أو تركيبيا أو دلاليا، وذلك لعدم تحديد زمن الدراسة أو مكانها أو المستوى اللغوي المدروس، كلّ ذلك يؤدّي إلى الخلط ويصل الباحث إلى نتائج مضلّة فهذا التحديد من دواعي الدقّة التي تتطلبها الدراسة العلمية.

ومن مظاهر تحديد المستوى الدراسي بهذا المنهج وهو مثل تحديد مستويات الدراسة كما يلي:

1) تحديد المستوى اللغوي وهو مثل:
   - المستوى الصوتي
   - المستوى الصرفي
   - المستوى التركيبي
   - المستوي الدلالي
2) تحديد نوع المستوى اللغوي أ هو الفصحى أم العامية:

7 محمد محمد داود، *العربية وعلم اللغة الحديث*، (القاهرة: دار غريب، 2001) ص. 95

3) تحديد زمن الدراسة مثلا خمس سنوات أو عشر سنوات وهو حسب المدة التي يراها كافية للوفاء بحاجة البحث.
4) تحديد مكان الدراسة، مثلا بمصر أم في وطن عربي ما.
5) تحديد مصادر المادة من اختيار الشرائح التي تمثّل العربية المعاصرة تمثيلا صادقا (كالجرائد أو الروايات وغيرهما).

وقسم اللغويون هذا المنهج إلى قسمين،[8] وهما:

1) المنهج الوصفي التقريري: وهو الاكتفاء بالوصف دون التعليل والتفسير
2) المنهج الوصفي التفسيري: ويعني بتفسير الظواهر بعد وصفها وتحليلها، مثل تعليل: خشونة صوت الرجال ونعومة صوت المرأة والطفل.

ويعارض بعض اللغويين وخاصة لمن يتبع المدرسة التوليدية التحويلية على هذا المنهج كما يلي:[9]

1) أنّ المنهج الوصفي لا يجيب عن السؤال: "لماذا"؟
2) عدم الشمول، إذ أنّه لا يستطيع حصر كلّ ظواهر اللغة لأنّه يقنع بوصف ما تجمع لديه من مادة وهي ناقصة في الأغلب الأعمّ ولا يمثّل اللغة من كل جوانبها وأطرافها
3) تطبيقه على اللغة المعنية في فترة معينة يؤدّي إلى عدم الوحدة في القواعد اللغوية.

ومن بعض الملاحظة السابقة أنّنا لا نهمل استخدام هذا المنهج الوصفي لأن الواقع أنه من أهمّ مناهج البحث في دارسة اللغة وأكثرها

8 محمد السيد علي بلاسي،م *المدخل الي البحث اللغوي* (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 1999) ص.46

9 نفس المرجع، ص. 47

استعمالا لدى اللغويين. مثل بعض اليمنيين في صنعاء يجعل كاف المؤنّثة شينا فيقول أخوش في أخوك وأبوش في أبوك. وغيرها مثل ألسنة العراقيين أي عرب جنوب الجزيرة نطق كاف في التأنيث مثل (ch) في الإنجليزية فيقول: " تشيف حالك؟" لقول: "كيف حالك؟".[10] وهذه دراسة اللغة الوصفية تلاحظ لهجة قوم معين كاللهجة اليمنية أو العراقية وغيرها كثير.

د- المنهج التاريخي (Historical Methode)

المنهج التاريخي عبارة عن بحث التطوّر اللغوي في لغة ما عبر القرون.[11] وهذا المنهج يبحث في قضية لغوية من حيث تطوّرها وتغيّراتها خلال التاريخ في عصر بعد العصور حسب استمرار نموّه وتطوّره. أساس العمل بالمنهج التاريخي هو تتبّع الظاهرة اللغوية على فترات متعدّدة من الزمان يقصد التعرّف على ما أصاب اللغة من تغيّر أو تطوّر.[12] وعلى هذا القياس نستطيع أن ننظر إلى حالة اللغة العربية قبل الإسلام وبعده حتى الآن.

وميدان المنهج التاريخي هو اللغة المعينة دراسة تاريخية من حيث مفرداتها وقواعد التنظيم فيها، واتجاهات أساليبها في مراحلها التاريخية المختلفة، فيتتبّع اللغة منذ عصرها الطفولي كيف كانت

10 عبد الصبور شاهين، *في التطور اللغوي*، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985) ص.14

11 محمد السيد بلاسي، المرجع السابق، ص.48

12 نفس المرجع، ص. 48.

المفردات فيه؟ ومعانيها؟ وكيف كانت القواعد التي تنظّم الكلمات من أحوال إعرابية، وصرفية، واشتقاقية، وأحوال التركيب وصلاتها بالمعاني وما تقتضيه من أحكام لغوية وأدبية وبلاغية؟ وأن يتناول البحث الوصف الدقيق لكلّ مرحلة من المراحل من حيث النواحي السابقة في الأصوات والمعاني والبنية والأسلوب والتطوّرات التي اعترت المواد اللغوية والتغيرات التي مرّت بها والعوامل التي أثّرت فيها ونتائج ذلك كلّه.

ولا شكّ أنّ الدراسة اللغوية التاريخية لا تقوم إلاّ بعد الفراغ من المراحل المختلفة التي مرّ بها تاريخ اللغة دراسة وصفية وتعقب إلى تدوين تاريخ هذه اللغة صوتيا وفونولوجيا ونحويا وقاموسيا ودلاليا. وقال بلومفيلد، نقلا عن بلاسي (1999)، إنّ ظهور التيار التاريخي المقارن والتيار الفلسفي الوصفي في أواخر القرن التاسع عشر يدلّ على أنّ الدراسة التاريخية للغة تتوقّف درجتها دقّة وإتقانا على دقّة الدراسة الوصفية للغة موضوع الدراسة وعلى إتقانها.

ويمكن لنا أن نعرض الفرق بين المنهج الوصفي والتاريخي فيما يلي:

1) علم اللغة الوصفي كما يدلّ الاسم يصف اللغة ويفحص ظواهرها ومظاهرها. أمّا علم اللغة التاريخي فيتبع تطوّر اللغة وتغيّرها على مرّ الزمن. وهناك المصطلح يستعمل مرادفا لعلم اللغة التاريخي وهو: *diachronic linguistic* ومصطلح آخر يرادف علم اللغة الوصفي وهو *synchronic linguistics*.

2) علم اللغة الوصفي يعتبر أنه علم اللغة الساكن، وأمّا علم اللغة التاريخي فهو علم يتميّز بفاعلية مستمرّة فهو يدرس اللغة من خلال تغيّراتها المختلفة وتغيّر اللغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللغة وفي كلّ اللغات.
3) المنهج الوصفي يبحث اللغة في وقت معين بحثا عرضيا لا طوليا، وأمّا المنهج التاريخي فيدرس اللغة دراسة طولية بمعنى أنه يتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة.
4) بالنسبة لعالم اللغة الوصفي كل اللغات عنده على قدم المساواة ، أما بالنسبة لعالم اللغة التاريخي ،فاللغة تتفاوت في أهميتها تبعا لمدي انتشارها وسهولة معرفة تاريخها الماضي.[13]

هـ - المنهج المقارن (Comparative Method)

هو منهج الدارسة اللغوية الذي يقوم بالمقارنة بين لغتين أو أكثر بشرط انتماء هاتين اللغتين أو تلك اللغات إلى أسرة لغوية واحدة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف وتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات موضع المقارنة، وذلك رغبة في تصنيف اللغات إلى أسر وفروع لغوية، ويقوم هذا التصنيف على أوجه التشابه في المستويات اللغوية (صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية).[14] ونستطيع أن نقول إنّ هذا المنهج يقوم بالمقارنة بين تغيرات اللغات أو بين الأصل وما تفرع منه أو ما آل إليه من فترة إلى أخرى.

---

13 بلاسي،محمد السيد علي، نفس المرجع،ص 49-51

14 داود،محمد محمد، المرجع السابق ، ص. 99

وميدان الدراسة اللغوية بهذا المنهج هو مجاله اللغات ذات الأصل الواحد، كالعربية والعبرية، واللغة الإندونيسية والمالايوية، واللغة الفرنسية والأسبانية وغيرها. وليس من شأنه أن يقارن بين اللغات التي ترجع إلى أصول مختلفة كالمقارنة بين العربية والإنجليزية مثلا وقد يتوسع فيه بعضهم فيطبقه على المقارنة بين اللغات ذات الأصول المختلفة.[15] وعلم اللغة على المنهج المقارن قد يستخدم في مقارنة لهجات لغة واحدة بعضها ببعض في فترة زمنية محددة. وهو في هذه الحالة أنّها يعتمد على دراسة وصفية أساسية لكلّ لهجة على حدة سابقة على المقارنة. ويعني بالمنهج المقارن هو المقارنة بين لغتين أو أكثر من اللغات التي تنتهي على مجموعة واحدة محاولا توضيح ما بينهما من خلافات أو تقارب في الأصوات أو البنية أو التراكيب أو الدلالية بأنواع مجالها.

و- المنهج المعياري (Prescriptive Method)

هذا المنهج عبارة عن منهج الدراسة اللغوية الذي يضع الضوابط والقوانين التي تحكم الاستعمال اللغوي في مستوياته المختلفة بحيث يعد الخروج عليه ضربا من ضروب اللحن والغلط ويكون الالتزام بها التزاما بالمستوى الصوابي الذي يسير عليه المتكلمون باللغة المعينة.[16] ونجد كثيرا هذا الواقع في مؤلّفات النحو والتصريف وكذلك في تعليمهما. وإن لم يستوف على المقياس المقرر ويعتبر مخطئا ولا يلزم

15 نفس المرجع، ص. 55

16 نفس المرجع، ص. 63

استخدامه. وكانت اللغة على هذا النوع من المنهج مقيّد بالقيود المنشودة فيها.

أساس هذا المنهج محاولة استخلاص مجموعة محدّدة من القواعد والقوانين وجعلها نموذجا أو معيارا ينبغي الأخذ به والسير على طريقه، فمن خرج عن هذا النهج أو المعيار دخل في دائرة الخطأ ومن سار به فأصاب. ووظيفة هذا المنهج هو بيان الخطأ والصواب في اللغة ومحاولة فرض قواعده على مستخدمي اللغة حفاظا عليها وعلى أصولها. لذلك كان هذا المنهج اتّبع في وضع القواعد التقليدية للغات ذات الأصول التاريخية العريقة.

والمنهج المعياري كما يظهر في أعمال اللغويين العرب يعتمد في وضع قواعده على خليط من المبادئ والاتجاهات، فقد يلجأ إلى الوصف أو الفروض العقلية أو مسائل القياس المنطقي. ومصادر اللغويين في استنباط المعايير اللغوية هي:

1) القرآن الكريم
2) القراءات القرآنية
3) الحديث النبوي
4) الشعر والشواهد النثرية.

ز- المنهج التقابلي (Contrastive Method)

هذا المنهج من أحدث المناهج اللغوية الحديثة (نشأ بعد الحرب العالمية الثانية)، وهو يهتمّ بدراسة ظواهر لغتين أو لهجتين بهدف الوصول إلى الفروق وأوجه التقابل بينهما، ولا يشترط أن تكون هاتان اللغتان أو اللهجتان من فصيلة لغوية واحدة (كما هو المنهج اللغوي

المقارن).[17] ويمكن إجراء الدراسة اللغوية بهذا المنهج أن تكون اللغتان في فصيلتين مختلفتين كما لو قابلنا بين الخصائص التركيبية للجملة بين اللغة العربية واللغة الإندونيسية وغيرهما من نظام اللغة الأم واللغة الثانية. ونقدّم هنا بعض الأمثلة عن دراسة اللغة بالمنهج التقابلي هي كما يلي:

1) على المستوى الصوتي: مثلا، صوت (ر) في الكلام العربي بالتكرار وصوت(R) في اللغة الإنجليزية التي تكون في كلمة ما أي تكاد لا تنطق.
2) علي المستوى التركيبي: مثلا، نجد أن الإنجليزي حين يتعلم اللغة العربية عن التركيب الوصفي فيتأثر بالتركيب الإنجليزي. فالتعبير: " جميل جدا" بالإنجليزية هي *(very nice)* وقد تعوّد ذهنه بتقديم الصفة فيقول: "جدا جميل"، وما أشبه ذلك.

أضيف إلى ما قد ذكرت من مناهج الدراسة اللغوية في التراث العربي سابقا، وبوجود مظاهر تطوّر اللغة عبر السنين ومنهج دراستها في لغة ما وخاصة اللغة العربية فليس من المحتمل بأن نجد منهجا آخر في الدراسة اللغوية الخالصة أو الدراسة اللغوية المشتركة بأنواع النظريات والمداخل الدراسية وتأثير بعض العلوم النامية والمهتمة باللغة والمتعلقة بها كجانب اجتماعي وجانب ثقافي وأحوال المتكلم أو كاتب النص وقارئه عند البحث فيه.

ح- خلاصة

17 عبد الله جاد الكريم، *الدرس النحوي في القرن العشرين*، (القاهرة: مكتبة الآداب، 2004) ص .211

للإنسان إرادة قوية لمعرفة الأشياء حوله لاسيما اللغة التي تميّزها عن سائر المخلوقات. لذلك يطلع دائما على اللغة الموجودة بأنواع النظريات والمناهج المقررة. ومن مناهج الدراسة اللغوية هي المنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج المعياري والمنهج التقابلي وغيرها من المناهج الحديث. ولكلّ منهج من هذه مناهج الدراسة اللغوية حدوده أو نقصانه ومزاياه، فعلى الباحث أو القائم بالدراسة اللغوية أن يختار ما يلائمه ويطابقه عند تطبيقه في دراسة اللغة أو البحث فيها حسب المستويات اللغوية المقررة التي أرادها. والله أعلم بالصواب.

المراجع

ج. ميلتون كوان، معجم *اللغة العربية المعاصرة*، ط.3، بيروت: مكتبة لبنان، 1974.

عبد الصبور شاهين، *في التطور اللغوي*، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985.

عبد الله جاد الكريم، *الدرس النحوي في القرن العشرين*، القاهرة: مكتبة الآداب، 2004.

لويس معلوف، *المنجد في اللغة والأعلام*، ط. 33، بيروت: دار المشرق، 1992.

محمود فهمي حجازي، *البحث اللغوي*، القاهرة: دار غريب، د.ت.

محمد السيد علي بلاسي، *المدخل الي البحث اللغوي*، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 1999.

محمد عبد العزيز عبد الدايم، *النظرية اللغوية في التراث العربي*، القاهرة: دار السلام، 2006.

محمد محمد داود، *العربية وعلم اللغة الحديث*، القاهرة: دار غريب، 2001.

محمود سليمان ياقوت، *منهج البحث اللغوي*، الكويت: دار المعرفة الجامعية، 2000.